كيف ينبغى أن تكون الأخلاق
لتحقيق تعاون عالمى

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا

التعاون العام بين أمم العالم موجود على وجه متقطع وكيفما اتفق أن يكون ليس خاضعا لنظام معين . غير أن هذا ليس هو التعاون الذى يقصد اليه ميثاق الأطلنطى . بل التعاون المقصود بهذا الميثاق هو التعاون المستمر الذى يمنع الاعتداء و يؤدى إلى السلام الدائم .

بادئ بدء لا ينبغى أن نخدع أنفسنا فيما يعترض هـذا التعاون من صعوبات أعسرها تذليلا هو الإيمــان به . فإذا نحن تشبثنا بسنن المــاضى وما ألفناه فيه من أخلاق الناس على العموم وأخلاق قادة الشعوب على الخصوص . وما سجل التاريخ من ألاعيب السياسة وغدرها وقدرنا قوة أنصار الحرب والعاملين عليها والمتقعين من ورائها و يأسنا من أن نقطع الصلة بين ماضى الإنسانية وبين مستقبلها فى هذا الصدد فمــا أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه التعاون الذى ندعو إليه بنظام جمعية الأمم المــاضية . ولا يرى أنصار الاعتداء فى كل هذه الجلبة إلا أنها صلف تحت الراعدة .

أما إذا رجونا الخير وقدرنا ما نحن فيه اليوم من الضرورات الاجتماعية والحرج السياسى وقدرنا أن العالم أصبح لا يطيق بعد الآن حروبا على غرار الحروب الحاضرة . وقدرنا حق قدره الارتقاء الاجتماعى فى العالم ثم قدرنا أن هذا التعاون المرجو لم يأت طفرة بل هو فكرة اختمرت فى ضمير العالم وتداولتها بالبحث والتجربة عدة أجيال ، وقدرنا أن التجربة القاسية للأخطاء المــاضية ستنفع العالم فى تسديد خطاه إلى الخير . متى قدرنا كل ذلك وجب أن نتقبل مشروع التعاون المــانع من الاعتداء والمفضى إلى السلام الدائم بغاية الارتياح وآمنا به وعملنا على تحقيق وسائله . فلقد آن لضمير العالم أن ينتبه ويجعل الإخاء الانسانى حقيقة واقعة بعد أن لم يكن إلى الآن إلا لفظا ليس له ما يدل عليه .

الواقع من أمر النــاس فى الأمم المختلفة وفى المدنيات المتعاقبة أنهم بوازع من قانون الأخلاق الذى نشأ بنشوء الدولة و بوازع من سلطان البوليس والقضاء قد اعتادوا أن يتعاونوا فى معيشاتهم المدنية بالحسنى وتركوا عاداتهم الأولى فى العدوان والجرى على أحكام "حق الأقوى" التى ألفوها أزمانا طوالا فيما قبل المدنيات المنظمة . هذا هو حال أفراد الناس الآن فى الأمم المتمدنة منازعاتهم يفصل فيها القضاء و يزع سلطان البوليس بعضهم عن الاعتداء على بعض. وأصبحوا يرون جريمة داعية إلى الاحتقار ومستحقة للعقاب ما كانوا فى حال البداوة يتمدحون به و يجعلونه مناطا للعزة ومجلبة للشرف والفخار .

إذا ليس الظلم والعنف فى الناس أمرا طبيعيا لامناص منه كما قد يظن إنما كان ذلك فيهم قبل نظام الدول عادة اعتادوها آلافا لاتحصى من السنين . كان الأفراد فى كل لحظة محلا لافتراس السباع اقتضامهم ذلك أن تكون حياتهم فى حرب متصلة ودفاع مستمر فلما اطمأنوا من هـذه الناحية استمرت عادة الهجوم والدفاع فى أنفسهم غير أنها تحولت إلى أن تكون حربا بينهم حتى قضت عليها المدنية المنظمة بالبوليس والقضاء .

تلك حال الأفراد وأما حال الأمم أو بالأولى حال الحكومات فلم تجد كما وجد الأفراد تحت ضغط الضرورات الاجتماعيـة قانونا للأخلاق ولا محاكم تفض النزاع بينها ولا بوليسا يمنع الحكومات من اعتداء بعضها على بعض . بقى فيها روح الفرد الأولى روح القبيلة روح الاعتداء على الغير استعلاء عليه واستعبادا له وطمعا فى أرضه ومرافقه . و بالجملة بقيت كل حكومة حتى فى هذه المدنية الحاضرة تضمر أن تنتزع بالقوة من أمة أخرى ما لها من المرافق من غير وازع ولا حياء . و إذا فقد ظفرنا من المدنيات القديمة بأدب الأفراد ولم نظفر بأدب لحكوماتها يمنعها من الاعتداء والطغيان .

ومن العجب أن الفلسفة اليونانية مع أنها استوعبت بحث الأشياء الإنسانية لم تتعرض ولا عن طريق التخيل إلى إمكان القضاء على الحرب بين الأمم . ولم تفكر فى تحقيق الإخاء الإنسانى العام ولا فى السلام الدائم . بل لعلها شجعت الحرب تارة وقست فى نتائجها تارة أخرى . كذلك الفلسفة الرومانية والفلسفة العربية لم يكن فيهمـا نظرة فى ذلك الإخاء بين الأمم المختلفة كما نظرت كلتاهما فى الاخاء بين أفراد الأمة الواحدة إلا ما سموه "السلم الرومانى" ومن الخير ألا نتعرض لذكره لأنه لايفيد شيئا فى موضوع التعاون العالمى المنشود .

فأما أن الحرب من طبع الإنسان فتلك فكرة انترعها كتاب وفلاسفة مما هو الواقع . ومن طريف ما يؤثر عن أنصار الحرب ما نقله أميل فاجى عن أحد النيازقة أو الصوفية القائلين بوحدة الوجود قال " الحرب إلهية فى ذاتهـا لأنها قانون العـالم " . " الحرب الهية فى المجد الخفى الذى يحيط بها وفى الجاذبية الخفية التى تجـذبه اليها" . " الحرب الهية فى الحمـاية الموهوبة للقواد العظام " . إلى أن قال " الحرب الهية بنتائجها التى تعرب عن تقديرات الناس " قال اميل فاجى كل هذه الجمل تساوى أنه يقول " الحرب الهية لأنها مخيفة" .

و بالجملة فإن أهم دليل على طبيعتها هو قدمها والقدم من حيث هو لا يصحح فاسـدا ولا يفسد صحيحا . والذى يراد أنصار السلام هو أن الحرب ليست من طبع الإنسان كالعائلة والأبوة والعمل بل هى عادة تأصلت فى نفوس الناس يمكن القضاء عليها كما قضى على الرق ونحوه بوسائل التربية التى لاشك فى أن العالم يتقدم فى أمرها بنسبة تنبه ضميره على أثر تفكير المفكرين فيما يصلح حال الإنسان .

إذا كان لابد من ثورة على القديم فى هذه الناحية أيضا. وقد كانت هذه الثورة، وأول خاطر فى موضوع السلام الدائم خطر اسوللى وزير هنرى الرابع. ولكن سلامه الدائم لو أنه تحقق لما شمل إلا أوروبا فقط. وكذلك كان مشروع الأب سان بير فى أوائل القرن الثامن عشر. ولم تكن تلك إلا بوادر لم تفد شيئا، حتى كان آخر القرن الثامن عشر اذ انبعث صوت الاخاء الانسانى من جامعة كونجسبرج حين اقترح أستاذ الفلسفة فيها ايمانويل كنت انشاء حكومة أمم تمنع اعتداء بعضها على بعض وجه نداء للأمم والملوك قال فيه "ينبغى أن تنظم الأمم سلوكها فى كل دولة على قواعد الأخلاق والقانون كما يجب على الدول أن ترعى هذه القواعد فى علاقاتها المتبادلة مهما يكن من تمويه الاعتراضات التى تستنتجها السياسة من التجربة. وحينئذ لا تستطيع السياسة المحقة أن تخطو خطوة من غير أن تتبع فيها أوامر علم الأخلاق. فان السياسة متى اتحدت بعلم الأخلاق لم تعد بعد ذلك فنا صعبا ولا معقدا. ان الأدب يفك العقدة التى لا تستطيع السياسة حلها. يجب اعتبار حقوق الانسان مقدسة ولو ضحى فى ذلك الملوك بأكبر التضحيات. لا يمكن فى هذا الصدد التنازع بين الحق وبين المنفعة. وان السياسة يجب أن تركع امام الأدب.

لكن هل استمع لهذا النداء الكريم الملوك والحكومات؟ نعم أظن أن حكومات الأمم الكبرى التى اجتمعت فى مؤتمر فينا بعد هذا النداء بتسعة عشر عاما قد استمعت لهذا النداء لكن لا لتعمل به حقيقة بل لتخدع به الرأى العام للشعوب الوادعة الطيبة التى قلما تحتمل نصيبا من جرام حكومها". وهاكم مذكرة الوزير جنترميل مترنيخ رئيس المؤتمر المؤرخة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٥

ان أولئك الذين اجتمعوا فى المؤتمر وكانوا يعلمون حق العلم طبيعته واغراضه لايكادون يخدعون على تطوره أيا كان رأيهم فى نتائجه. إن الكلمات الفخمة مثل إعادة النظام الاجتماعى و"تجديد المذهب السياسى لأوروبا" و"والسلام الدائم المؤسس على توزيع عادل للسلطان" الخ الخ انما نطق بها لتطمئن الناس ولتفيض على هذا الاجتماع الحافل كرامة وعظمة. لكن الغرض الحقيقى للمؤتمر قد كان توزيع أسلاب المقهورين بين القاهرين.

هذا نموذج من أدب السياسة الدولية يتخذه الساسة لمجدهم ومجد ملوكهم وليلقوا به دروسا فى الشره والظلم على الناس أجمعين، أفكان الذين اجتمعوا حول مائدة الصلح فى فرساى أصلح منه وأصدق قولا من زملائهم فى فينا من قبلهم بقرن كامل لقد كان كتاب التاريخ السياسى يظنون أن مؤتمر فينا قد أخفق فى مهمته مع أنه وقى العالم شر الحروب ٣٩ سنة فهل كان مؤتمر فرساى أسعد حظا وأجدى على الانسانية نفعا مع أن سلامه لم يزد عمره على عشرين عاما حتى أمكن لأحد الساسة فى الخريف الماضى أن يجمع بين الحربين ويسميهما حرب الثلاثين من سنة ١٤ إلى سنة ٤٤ وإذا لم يتغير الأدب السياسى عما كان فى القرن الماضى. قال الكاتب المعروف الدس هكسلى عشية هذه الحرب الحاضرة "إن أدب

السياسة الدولية هو أدب القرصان أدب الخداع ، أدب الشيخ النيوكنت الفاسق " بل لم يتغير هذا الأدب منذ عشرين قرنا حين قال الفيلسوف "هذا هو قانون الانسانية كل ماهو محرم عليك اتيانه وأنت فرد مطلوب منك اتيانه وأنت مدافع عن الدولة" .

ترون من ذلك أن للأفراد أدبا جاءت به قوانين الاجتماع داخل كل بلد . فأين أدب السياسة والسياسيين و إلى أى شيء مرده ؟ ألى محكمة الضمير وقد جرى العرف على أن السياسة لا ضمير لها أم إلى محكمة القانون العام وليس للسياسة الدولية محكمة إلا الحرب ؟

قال برتلمى سانتهلير لمناسبة نداء " كنت " :

" لقد أعلن " كنت " هذه المبادئ القومية منذ ستين عاما ولكننا على رغم ما قطعت الأفكار العامة من مراحل التقدم فى هذه المدة ما أبعدنا إلى الآن عن الغرض الذى ترمى اليه حكمة الفيلسوف والظاهر أن الملوك والأمم لم تتلق بعد دروسا قاسية . .

نظن الآن أن العالم قد تلق هذه الدروس القاسية منذ الحرب الماضية فشرع فعلا فى إنشاء جمعية الأمم لكنها كما قد رأيتم لم تنجح لأنه عند تنفيذها كان الساسة قد نسوا و يلات الحرب ورجعوا إلى أخلاق السياسة الدولية فلم تنجح تجربتهم وجاءت الحرب الحاضرة بو يلاتها التى لا تطاق . تلقاء هذه التجربة القاسية صدر ميثاق الأطلنطيق فى أغسطس سنة ١٩٤١ و به حق لأنصار السلام أن يشعروا بأن السياسة الدولية صادقة هذه المرة ولا تنوى أن تستمر على تلك الخطة التى ذكرناها . وكفيلنا بذلك الضرورة العالمية وكفى بالضرورة كفيلا .

ينبغى أن يرحب العالم بميثاق الأطلنطى كما يرحب بالوسيلة الوحيدة لتنفيذه وهى انتصار الديمقراطيات على الدكتاتوريات . ونحن من جهتنا نرجو ذلك الظفر ونرحب به أكثر من غيرنا لا لأننا أصدقاء الانجليز وحلفاؤهم فحسب ولا لأننا نرجو خيرا كثيرا من تدخل أمريكا فى السياسة العالمية لنصرة الشعوب الصغيرة فحسب بل لأن هاتين الديمقراطيتين العظيمتين هما الكفيلتان ببقاء أجل نعمة نعم بها العالم فى هذه المدنية الحديثة وهى الحرية الشخصية .

ينبغى أن يرحب العالم بميثاق الأطلنطى باعتباره خطوة الى الأمام فى طريق السلام الاجتماعى والتعاون العالمى . أو بنص عبارة الميثاق نفسه "ايصال العالم الى مستقبل أفضل" هذا الغرض ان لم يف بكل ما يطلبه أنصار السلام فلا ريب فى أنه خطوة حاسمة فى سبيله وذريعة عملية لتقليل الحروب و إطالة مدة السلام التى تفصل بينها .

والظاهر أن الأداة التى تنفذ ميثاق الاطلنطى هى التى ذكرها المستر إيدن بالإجمال فى خطابه : " إن النظام الدولى يجب أن يكون ممثلا تمثيلا تاما ، لا كما كان عليه الحال فى عصبة الأمم السابقة وأن يكون هناك تصميم وعزم لاتخاذ قرارات إيجابية وأن توجد قوة لتنفيذ تلك القرارات .

وهنا يتساءل أنصار السلام هل إنشاء عصبة أمم جديدة خير من عصبة الأمم القديمة يمكن أن يوصل إلى الغاية النبيلة التي أشار إليها المستر إيدن بقوله "إن غايتنا هي إنشاء نظام عالمي يحقق التقدم السلمي لجميع الشعوب" .

العقل والتجربة متفقان على أن نظام عصبة الأمم التي لها قوة مسلحة لتنفيذ قراراتها ليس خير أداة للسلام الدائم و بالتبع للتعاون العالمي لأن هذه الأداة متى كمل نظامها كانت كما يقول المستر الدس هكسلي كأنها عصبة مؤلفة للحرب لا للسلام .

والواقع أن العنف يولد العنف، ومع ذلك ليس أمام العملين من أنصار السلام وسيلة سواها في الحال الراهنة .

غير أن هذه الوسيلة لا توصل إلى الغاية إلا اذا اقترن بها إبطال الاستعمار بجميع أسمائه وألوانه، على هذا الوضع يمكن القضاء على التنافس الحاد بين الأمم الكبرى، وعلى هذا الوضع فقط يمكن أن تستل من نفوس الأمم الصغيرة تلك الأحقاد التي ولدها استعلاء قوم على قوم، وذلك هو أفسد مايكون للأخلاق التي ينبغي أن تتخلق بها الأمم لتحقيق تعاون عالمي ، وفي هذه الحالة الشعوب التي لا تستطيع أن تقوم بنفسها لا تتبع دولة بعينها باسم الانتداب أو باسم الحماية ، بل دولة ادارة النظام العالمي الذي أشار إليه وزير الخارجية البريطانية ، تأخذ هذه الإدارة بيدها حتى تستكمل مشخصات الأمة التي تستطيع أن تكون عضوا مستقلا نافعا في التعاون العالمي .

مادام غرض التعاون العالمي هو القضاء على نظرية حق الأقوى مع فسادها في نظر المنطق القانوني وما دام الاستعمار هو أظهر آثار حق الأقوى فلا بد للتعاون العالمي من القضاء عليه بجميع أسمائه.

كما أن الفلسفات القديمة لم تتعرض لفكرة السلام الدائم كما ذكرت آنفا كذلك هي لم تتعرض لاستنكار الاستعمار . وأول من تعرض لنا من الفلاسفة على وجه بين هو الفيلسوف بنتام فانه هو وأنصار مذهبه يبغضون الاستعمار و يرونه غير نافع للأمم المستعمرة فوق انه مفسد لأخلاق الأمم المستعمرة . قال برتران رسل "اذ كانت الثورة الفرنسية في الصميم من أمرها " كتب بنتام رسالة الى تاليران عنوانها " حرروا مستعمراتكم " ولم يكن رأيه في المستعمرات الفرنسية فحسب بل رأيه كذلك في المستعمرات البريطانية ... ولكنه حمل صديقه اللورد لنسدون على اعتناق مذهبه فقال في مجلس اللوردات في سنة ١٧٩٧ "لا يمكن أن يسدى الى اسبانيا خير أفضل من تخليصها من لعنة مستعمراتها" .

وأخيرا في عهد جمعية الامم السابقة عرض على الامم المستعمرة في فرص عدة أن تنزل عن مستعمراتها لتضعها تحت السيادة الدولية فرفضت بلا استثناء غير أنه مادام على ظهرها أمم غالبة وأمم مغلوبة فلا رجاء في التعاون باخلاص وكأني بالامم المغلوبة على أمرها تقول

للقاهرين دعاة السلام — انظرونا نتحلل من ذل التبعية ثم شأنكم والسلام الدائم قرروا فيه ما تشاءون .

بقي أن نشير الى أن بعض الكتاب السياسيين يرون أن الاستعمار والوطنية أمران متلازمان وأن من العسير أن يحب قوم وطنهم دون أن يقترن هذا الحب بالاستعلاء على الامم الضعيفة أو دون أن يبغضوا غيرهم . هذا قد يكون حقا في أمر الوطنية الحادة الجامحة التي هي من سلالة عصبية القبيلة . أما الوطنية المدنية أو وطنية المستقبل التي يسيطر عليها التدبر العقلي فانها لا تتنافى مع حب الأنسانية جمعاء . والواقع أننا نرى الرجل الفاضل مع حبه لنفسه يسعى الى سعادة غيره فلا مانع اذا يمنع قوما يحبون وطنهم من أن يسعوا في اسعاد الأوطان الأخرى .

نسوق كل هذه المقدمات للوصول إلى نتيجتين . الأولى أن التعاون العالمي ممكن متى اقترن به إلغاء الاستعمار على الوجه الذي ذكرناه . والثانية : أن أدب السياسة الدولية الذي جرى عليه العرف إلى الآن بعيد عليه أن يحقق التعاون العالمي بل لابد لهذا التعاون من أدب دولي جديد ونظرا إلى أن أسباب الحروب مهما اختلفت مردها إلى الحالة السيكولوجية للأمم وعلى الخصوص الحالة الأخلاقية لقادة الأمم ، نظرا إلى ذلك قد بحث أنصار السلام في الوسائل التي تؤدي إلى منع الاعتداء من جانب أمة على أخرى و إن أوفى بحث أعرفه في هذا الصدد تلك المحاولة الجريئة الموفقة التي حاولها الكاتب المعروف الدس ا كسلي في كتابه " الغاية والوسائل " لم يقنع هكسلي بطريقة " كنت " التي لا يزال الساسة يسيرون عليها سواء أكان ذلك في جمعية الأمم السابقة أم في النظام العالمي المستقبل بل هو يرمي إلى أعمق من ذلك أثرا وأبقى على الزمان بقاء ، وهو أن يسعى الأفراد والجماعات والحكومات إلى تربية الجيل على صورة تتدرج نتائجها للوصول إلى الإنسان المثالي ، جعل هكسلي المثل الأعلى في ذلك الإنسان الذي سماه "الإنسان اللامرتبط" غير المرتبط باحساساته ورغباته الجسمية ، غير المرتبط بشهوته في السلطة والحيازات المختلفة ، غير مرتبط بموضوعات هذه الرغبات المختلفة غير مرتبط بغضبه بحياته الخاصة ، غير مرتبط بالثروة ولا بالمجد ولا بالوضع الاجتماعي ، غير مرتبط حتى بالعلم والفن و بالتأمل المجرد و بحب الإنسانية . بذلك يصل المرء إلى حيازة جميع الفضائل ، و إن عالما مؤلفا كله أو جله أو على الأقل قادته من أفراد لهم هذه الفضائل لجدير بأن يسمى العالم الكامل ، غير أن هكسلي لم يخدع نفسه على إمكان الوصول إلى تلك الوسائل التي تربط نظريات السياسة الداخلية والسياسة الدولية والحرب والاقتصاد والتربية والدين والأدب ، كل أولئك بنظرية الطبيعة الآخرة للحقيقة ، بل قال في آخر كتابه "لاشك في أن هذه المهمة قد نفذت على وجه ناقص ، على انني لا أعتذر عن محاولتي إياها فان رسم مذهب رسما ولو جزئيا خير من العدم الكلي " .

ونحن من جانبنا نترك إلى الزمان الطويل تحقيق الرغبات الشريفة لهذا المؤلف . ونقبل على مذهب أقرب تناولا ، ونقنع بالهدف الحاضر وهو التعاون العالمى الذى ارتضته السياسة الدولية للأمم المتحدة فماذا ينبغى أن تكون الأخلاق لتحقيق هذا التعاون.

إذا كان هكذا لى يعتقد هكذا بسمو النفس الانسانية فى طبيعتها إلى حد أنه يرى من الممكن أن تحقق نظرياته فليس فى ذلك إلا قريبا جدا من رأى الفيلسوف "كنت" فى سمو الطبيعة الانسانية حين يقول " ليس فى الاستعدادات الطبيعية للانسان شىء من مبدأ للشر وأن السبب الوحيد للشر هو ألا يرد الطبع إلى قواعد ، ألا إن الانسان ليس فيه من أصل إلا للخير ، ليس لهذا المعنى فقط أرى أن أختار منهاج "كنت" مرجعا لصورة هذا البحث الذى أبحثه ، بل لأنه مع ذلك صاحب فكرة الحكومة الدولية العامة ، وبهذه المثابة قد يكون منهاجه الأخلاقى أقرب المناهج نسبا للتعاون العالمى ، وقد يكون فوق ذلك هو المناسب لاعتقادات الناس فى هذا الزمان .

لتحقيق التعاون العالمى ينبغى أن تقوم كل أمة بواجباتها نحو ذاتها وواجباتها نحو الأمم الأخرى.

فأما فضائلها الذاتية أو واجباتها نحو ذاتها ، فالقيام بها أظهر ما يكون فى التربية وفى صور الحكم .

أما التربية فانها فى كل العصور وسيلة لتحقيق غاية معينة ، فترون الدكتاتوريات تنشئ أجيالها تنشئة اسبرتية محضة ، لأن غايتها استكمال ما تستطيع من قوة لتبسط سلطانها على العالم كله أو بعضه ، فتجرد أبناءها من حرية التفكير الشخصى وحرية النقد وحرية الاجتماع لتبادل الآراء وتنمى فى أنفسهم مبادىء القومية الحادة والاستهانة بحقوق الغير والطاعة العمياء ، وبالجملة تكون غاية التربية غاية حربية صرفة ، أو بعبارة أدق غاية الاعتداء على الأغيار وما فى أيديهم ، وليست الديمقراطيات مع الأسف بأحسن حالا من ذلك إلا قليلا ، فان التربية فيها مع ما بها من الحريات الفردية موجهة إلى الحرب أيضا ، وفى مثلها العليا نماذج من أبطال الحروب الأولين والآخرين ، فمناط المثل الأعلى فى التربية الحاضرة بطل قتل فى ساحة الحرب من إخوانه فى الانسانية أكبر عدد ممكن ، لاشك فى أن هذه التربية لايمكن أن تكون غايتها التعاون العام أو السلام الدائم ، بل لابد للعالم وقد اعتزم التعاون العام أن يغير غاية التربية فيستن نوعا من التربية يؤدى إلى حب السلام لا إلى حب الحرب ، يؤدى إلى تحقيق الإخاء الانسانى ، يؤدى إلى ترك المبالغة فى الاعتزاز بالأجناس وترتيبها ترتيبا تحكميا عسى أن يكون الجنس الأخير متأخرا من الجنس الأول المزعوم ، وبالجملة ينبغى أن تترك إلى جانب عصبية الانسان الأولى للقبيلة ولمعبودها المحلى الذى صنعه الانسان بيده إلى ما يقتضيه الإخاء الانسانى والتعاون العالمى من احترام لجميع الأجناس وسعى فى إسعاد من قضت عليه المصادفات الشقية بأن يكون فى سلم المدنية متأخرا عن سواه .

على هذا ، يجب على الأمة فى تربية أبنائها ، أن تكون غايتها الانسان المثقف ووسيلتها إلى ذلك :

١ — تثقيف ملكات الفرد الطبيعية . ملكات الجسم والعقل والنفس بأن يقوم بمقتضيات حفظ الذات وحفظ النوع بالاعتدال التام ثم بواجب الصدق الذى يسبب له الاقتناع بكرامته وواجب السخاء الشخصى بأن لا يقتر ولا يسرف بل ينفق بالمعروف وواجب كرامته من حيث هو إنسان فيرفض أن يكون تبعا لغيره فى غير الحدود المفروض عليه من جهة كونه عضوا فى جمعية مدنية لها قوانين مرعية الأداء . وواجب محاسبة نفسه على كل ما يخطر له من فكر أو يلفظ من قول أو يأتى من عمل وضابط ذلك كلمة أفلاطون المعروفة " تعرف نفسك بنفسك " أى تعرفها بالدرس الدائم لحالها وسبر غورها فى أعمق طياتها . ثم ينبغى أن يؤخذ الناشئ بتثقيف ملكات عقله بأن يتعلم ما هو ميسر له من العلوم والفنون . قال كنت " من ليس مثقفا فهو بهيمة ومن ليس مؤدبا فهو متوحش " .

• كذلك ينبغى أن تؤخذ الأفراد فى التربية بتعلم القيام بواجباتهم نحو الغير مثل حب الانسانية ويعنى به العدل ورعاية الغير وعرفان الجميل والسخاء والمواساة فى الضراء واحترام الأغيار فى أشخاصهم وشرفهم وأموالهم واحترام قوانين البلاد سرا وعلانية .

وينبغى فى تثقيف هذه الثلاثة الأنواع من الملكات الطبيعية أن يكون ذلك على يد أساتذة أحرار فى مدارس حرة ليست تابعة مباشرة لسياسة الحكم كلما أمكن ذلك .

وأما واجبات الأمة من حيث صورة الحكم لتكميل ذاتها فينبغى أن تكون الأمة دائما مظهر السلطات فى وطنها وأن يشتمل أفرادها فى حكمها على الطرق الديمقراطية وأن يكون الحكم فيها لمنفعة المحكومين لا لمنفعة الحكام . وأن تكون ولاية الحكم ضرائب يؤديها الأكفاء من أبنائها لا مزايا يختص بها المقربون من السلطات ويتفرع على ذلك أن طالب التولية لا يولى .

هذا ما ينبغى من فضائل الأمة أو واجباتها نحو ذاتها .

وأما واجبات الأمم بعضها نحو بعض فاول ما ينبغى هو إبطال هذا المذهب العتيق للسياسة الدولية . مذهب الارتياب والدسائس والتجسس وأن يستبدل به نقيضه بأن تحل محل هذا المذهب الواجبات الأدبية التى يفرضها قانون الأخلاق على الفرد نحو غيره وهى تتلخص فى احترام حقوق الغير والسعى فى إسعاده .

على هذا النحو وعلى هذا النحو وحده يتحقق التعاون العالمى وتشمل نعمة السلام كل بنى الانسان .

أحمد لطفى السيد